محبة علي بن أبي طالب

بين الغلو والجفاء

أبو أسيد الشيباني

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

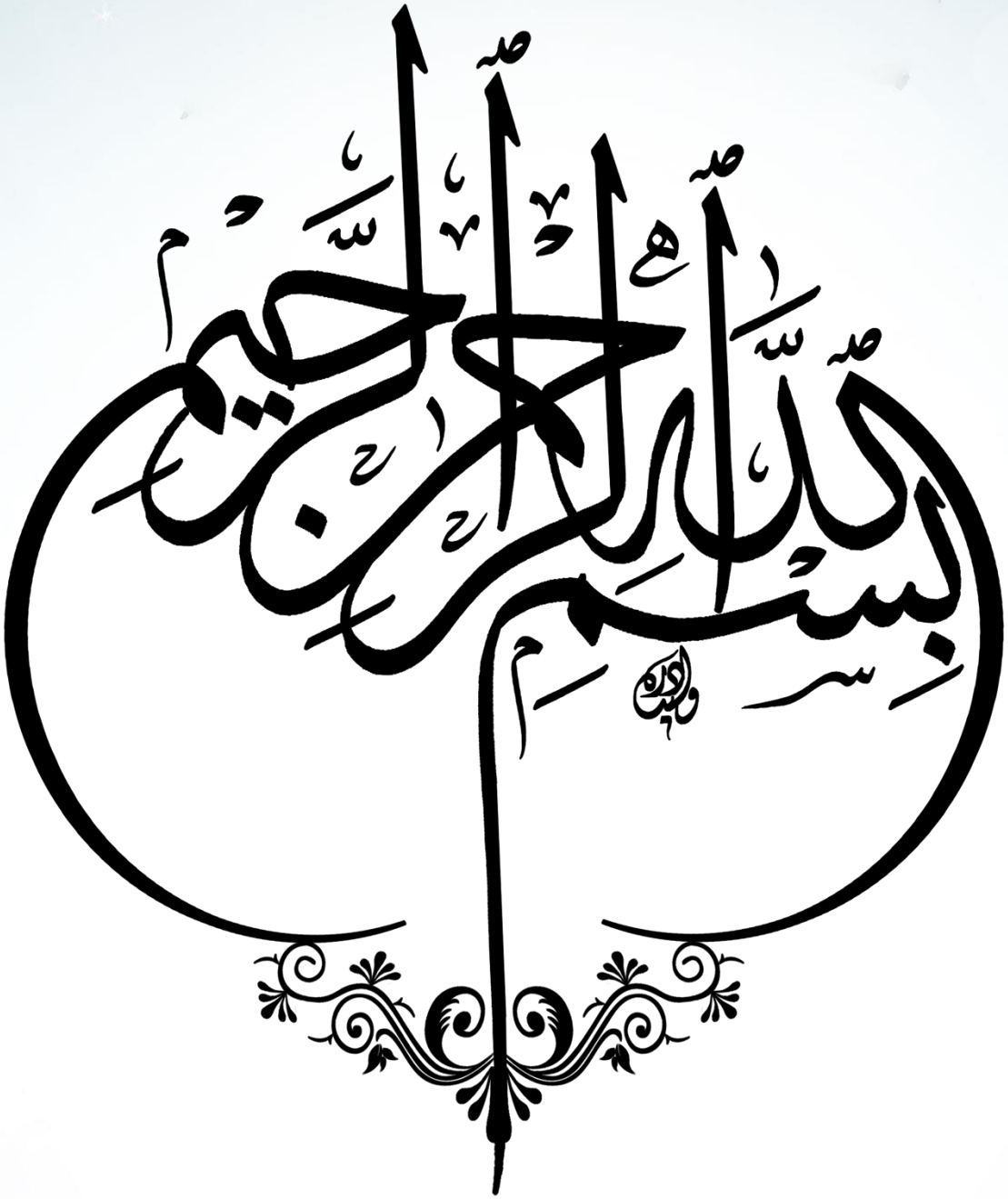

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن من نعمة الله على هذه الأمة المحمدية، وتشريفه لها، أن جعلها أمة وسطًا خيارًا عدلًا فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ١٣٤] فهي خير الأمم التي أخرجت للناس قاطبة كما وصفها وشهد لها ربها وخالقها بذلك، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [ال عمران ١١٠]

إن الإسلام ليمتاز بصفة لا يمتاز به أي دين غيره فهو دين وسط بين الأديان كلها، وسط بين دين اليهود ودين النصارى، فدين اليهود فيه تشدد، ودين النصارى فيه توسع وتفريط، والإسلام جاء بالتوسط بينهما، اليهود يشددون في بعض الأشياء، والنصارى يتساهلون في كثير منها، كذلك أيضًا الدين الإسلامي وسط بين الغلو والتقصير، فليس فيه غلو بحيث يكلف أهله ويشق عليهم، وليس فيه تقصير بحيث يكون فيه نقص أو خلل في أية عبادة.

كذلك دين الإسلام وسط في باب صفات الله تعالى بين المشبهة الممثلة الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه، وبين المعطلة الذين نفوا صفات الله، وعطلوه من صفات الكمال، كذلك

الإسلام وسط بين الأمن والقنوط، فهناك طائفة يكثرون من المعاصي والكفريات والبدع وهم آمنون، ويصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وآخرون غلب عليهم اليأس والقنوط، ووقعوا في معاصٍ وكبائر؛ ولكنهم قطعوا الرجاء، وانقطعوا انقطاعًا كليًا عن التوبة، وأيسوا من قبولها، واعتقدوا أنهم لا تنفعهم التوبة ولا تُقبل

منهم، واعتقدوا أنهم لا ينفعهم أي عمل عملوه، فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وكذلك وسط في باب الوعد والوعيد، فهناك الوعيدية الذين شددوا وحكموا بأن من عصى الله أدنى معصية فقد كفر، وحل ماله ودمه، وآخرون قالوا: المعاصي لا تؤثر ولا تضر، هؤلاء غلوا وهؤلاء فرطوا، والإسلام وسط جاء ينهي عن تكفير المسلمين، والخروج على أئمة المسلمين، وبهذا صار أهل الاسلام وسطًا بين هؤلاء وهؤلاء.

وهكذا فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، ولا جفوا كاليهود.

إلا شرذمة قليلة ممن ينتسب إلى الإسلام، والإسلام منهم برئ، لأنهم غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأهلِ البيت غلوًا جاوز الحد والمشروع، بل بلغ من غلوهم فيه رضي الله عنه أن ادعى له بعضهم النبوة وبالغ منهم آخرون فادعوا له الإلهية - عياذًا بالله تعالى- فلما بلغ ذلك عليًّا أنكر عليهم وأمر بإحراقهم.

والناس في معاملة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ثلاثة أقسام:

- أهل الغلو وهم الذين يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله بها.
- أهل الجفاء وهم الذين هضموا حقه ولا يقومون بحقه من الحب والتوقير والتبجيل.
- أهل الحق وهم وسط بين الصنفين، هم الذين يحبونه ويوالونه ولكنهم يبرؤون من الغلو والجفاء فيه.

وفي هذا البحث الذي أسميته (محبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين الغلو والجفاء) أحببت أن أبين حقيقة غلو الرافضة في علي وجفائهم عن ببقية الصحابة، وجفاءَ الخوارج في علي وتكفيره، وأبين عقيدة أهل السنة والجماعة وموقفهم من غلو الرافضة وجفاء الخوارج.

وقد رسمت خطة بحثي هذا على النحو التالي:

١- معنى الغلو وحقيقته.

٢- معنى الجفاء وحقيقته.

* تاريخ الغلو والجفاء ويشتمل على.

٣- الغلو في قوم نوح عليه السلام.

٤- الغلو والجفاء في أهل الكتاب.

٥- غلو وجفاء الشيعة.

٦- غلو وجفاء الخوارج.

٧- موقف أهل السنة من غلو الشيعة وجفاء الخوارج.

***الخاتمة.**

أسال الله أن ينفعني بهذا البحث ومن اطلع عليه وأن يرزقنا الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والله الموفق.

كتبه: أبو أسيد الشيباني

١- معنى الغلو وحقيقته.

بالرجوع إلى المصادر اللغوية ظهر أن الغلو هو: الِارْتِفَاع فِي الشَّيْء ومجاوزة الحدّ فِيهِ وَمِنْه قَوْله جلّ وعزّ: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينكم﴾ [النساء: ١٧١]، أَي لَا تجاوزوا الْمِقْدَار.

وَمِنْه الغَلْوَة بِالسَّهْمِ، وَهُوَ أَن يُرمى بِهِ حَيْثُ مَا بلغ، غلا يغلو غَلْوًا وغَلْوَةً وغُلُوًّا، وَجمع الغَلْوَة غِلاء وكل مَا ارْتَفع فقد تغالى، وَمِنْه اشتقاق الشَّيْء الغالي لِأَنَّهُ قد ارْتَفع عَن حُدُود الثّمن. وغَلْوَى: اسْم فرس مَعْرُوفَة من خيل الْعَرَب.[1]

وقيل: الغلو: تجاوز الحد. والغلوة: الغاية وهي رمية سهم أبعد ما يمكن. وقيل: هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة.

وغلا في الدين غلوا: تصلب وتشدد حتى تجاوز الحد.[2]

وعليه فحقيقة الغلو: الزيادة ومجاوزة الحد الشرعي الواجب؛ قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال سبحانه في آية المائدة: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال سبحانه في آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان " وهو غلو في الغي " كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١]، وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات: ١٧]، وقال عن الخاسر صاحب الجحيم ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨] الآية، وقال في آخر سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

---

١ جمهرة اللغة (٢/ ٩٦١).

٢ التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٥٣).

ومما ورد في السنة أيضا:

* عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ: ((هَاتِ وَالْقُطْ لِي حَصًى)) فَقُلْتُ لَهُ: حَصَيَاتٌ مِثْلُ حَصَى الْخَذَفِ، فَوَضَعْتُهُنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ((بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ))[٣]

* وعَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِبْلٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ))[٤]

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ))، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ، وَفَضْلٍ))[٥] أي: سددوا وقاربوا أي اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو فيها والتقصير عنها.

*وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))[٦]

---

٣ رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، واحمد (١٨٥١)، وصححه الالباني، السلسلة الصحيحة (١٢١٣).

٤ رواه احمد (١٥٥٢٩)، حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي راشد الحُبراني، فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد"، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وروى عنه جمع، ووثقه العجلي، وابن حبان، والحافظ ابن حجر في "التقريب".

٥ رواه مسلم (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠١)، واحمد (٧٢٠٣).

٦ رواه البخاري (٣٤٤٥)، والدارمي (٢٨٢٦)، واحمد (١٥٤).

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفِزَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه))[٧]

مما سبق يتبين أن الغلو منهي عنه شرعًا وأن النبي صلى الله عليه وسلم حذرا منه، وأن معنى الغلو في الكتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وفي عموم اللغة أن الغلو هو: الإفراط في مجاوزة المقدار المُعتبر شرعا في أمرٍ من أمور الدين.

---

٧ إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

وأخرجه أحمد (١٣٥٩٦)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٨) و (٢٤٩)،

وأبو داود (٤٦٧٢) في السنَّة: باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والترمذي (٣٣٤٩).

٢-معنى الجفاء وحقيقته.

بالرجوع إلى المصادر اللغوية ظهر أن الجفاء هو: الغلظة في العشرة والخَرَق في المعاملة وترك الرفق في الأمور.

والجُفاءُ: ما نفاه السيلُ. قال الله تعالى: ﴿فأما الزَّبدُ فيذهبُ جُفاءَ﴾ ﴿ الرعد١٧﴾ أي باطلًا. وجَفَأَ الوادي جَفْءا، إذا رمى بالقَذى والزَّبَد، وكذلك القِدْر إذا رَمَتْ بزبدها عند الغَلَيان. وأجفأَتْ لغة فيه. وجَفَأْتُ القِدْر أيضًا، إذا كفأتَها أو أمَلْتَها فصببت ما فيها.[٨]

وقيل: الْجَفَاء: تَرْك الصّلَة والْبِر، للحديث ((غَيْر الجَافِي عَنْه وَلَا الْغَالِي فِيهِ))، وقيل الجُفاء: الْبَاطِل وَعَلِيهِ فُسر قَوْله عز وَجل: ﴿فَأَما الزّبد فَيذْهب جُفاءً﴾ [الرعد: ١٧].

وقيل: الجفاء: الفُحْش مِنَ القَوْل، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ ((البَذَاء مِنَ الجَفَاء))[٩]

وقيل: الجفاء: وَمِنْهُ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْس بالجَافِي وَلاَ المهِين» أَيْ ليْسَ بالْغَلِيظ الخِلْقَة والطَّبْع، أَوْ لَيْسَ بِالَّذِي يَجْفُو أصْحَابَه.

ومن الآيات القرآنية التي تنهى عن الجفاء ما يلي:

*قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾﴿البقرة-١٠٤﴾

فتقدم إليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها.[١٠]

---

٨ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٤١)

٩ أخرجه ابن أبي الدنيا في "مكارم الأخلاق" (٧٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/٥٢٣ و١١/٣٣، والترمذي (٢٠٠٩)، وابن حبان (٦٠٨)، والحاكم (/٥٢-٥٣)وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١٠ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢/ ٤٦٥)

*وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

لما عجز الأعداء عن معارضة الأنبياء عليهم السلام في الإتيان بمثل آياتهم أخذوا في الجفاء معهم بأنواع الإنذار، والتهديد بفنون البلاء من الإخراج عن الأوطان، والتشريد في البلدان.

*وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

*وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

ومما ورد في السنة أيضا:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»[١١].

* وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ، فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ»[١٢].

مما سبق يتبين أن الجفاء منهي عنه شرعًا وأن النبي صلى الله عليه وسلم حذر منه، وأن معنى الجفاء في كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وفي عموم اللغة هو: الغلظ في العشرة والخَرَق في المعاملة وترك الرفق في الأمور.

تاريخ الغلو والجفاء ويشتمل على

١١ سبق تخريجه قريبًا.

١٢ رواه البخاري (٣٣٠٧).

٣- الغلو في قوم نوح عليه السلام.

وذلك أن سبب بعثة نوح عليه السلام إلى قومه وجود الغلو فيهم بالصالحين، حيث كان الغلو سببا في كفرهم وشركهم مع الله في عبادته غيره، فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في رجال كانوا صالحين فغلوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله، ثم إنهم صوَّروا لهم أصناما تكون رمزا لعبادتهم حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال في هذه الآية: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما وُدّ فكانت لكلب بدَومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان... وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نَسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلمُ عُبدت)[١٣]

والأنصاب جمع نصب وهو الصنم يُنصب للميت لتخليد ذكراه. هذه في الحقيقة تمثل مظهرا جليا من الغلو، في باب الغلو في الأشخاص.[١٤]

٤-الغلو والجفاء في أهل الكتاب:

ثم وجد بعد ذلك نوع من الغلو والجفاء عند بني إسرائيل من يهود ونصارى كما قال تعالى في سورتي النساء والمائدة: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ

---

١٣ رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى: وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّا وَلا سُوَاعا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرا [نوح: ٢٣] الآية.

١٤ الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف (ص: ٢١، بترقيم الشاملة آليا).

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾﴿المائدة:٧٧﴾،وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١}، كما وجد الغلو والجفاء في التكفير عند كل من اليهود للنصارى والعكس قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾﴿البقرة:١١٣﴾، حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة دماء وأعراض بعضهم، فاليهود تُقرُّ مبدأ القتال لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما سواهم أميون يجوز أن يفعلوا بهم ما شاؤوا على مبدئهم الخبيث أنهم شعب الله المختار وكما قصَّ الله عنهم في قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشريعة عيسى عليه السلام، كما ونقموا على اليهود لأنهم صلبوا عيسى عليه السلام كما يظنون.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]

فأهل الكتاب ولا سيما اليهود عندهم مظاهر الغلو والجفاء والتطرف واضحة جلية في مناحٍ شتى في التغالي والكبر والعجب والتيه على الناس جميعا مسلمين ونصارى وغيرهم.

وأيضا في عقيدتهم وتميزهم عن الناس بالدعاوى الباطلة من كونهم أبناء الله وأحباؤه، وزعمهم أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم فيما يفعلون في غيرهم من الظلم والبغي والاعتداء حرج وسبيل.

ومن أعظم مظاهر الغلو والجفاء في اليهود والنصارى ما كان في جناب الله عز وجل من وصفه سبحانه وتعالى بالنقائص، وإضافة العيوب إليه، ومما فضحهم الله به في القرآن:

١. قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء، كما في آخر سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٣].

٢. ووصفهم الله بالبخل والطمع، كما في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣. وعيبهم الله بالتعب والإعياء في خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مما أكذبهم الله بقوله في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

٤. ومن أعظم جفائهم: قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض وفي حكم الله ، مما تواردت عليه آيات كثيرة في القرآن من أولها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ

قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

ومن غلو وجفاء اليهود والنصارى نشأ الغلو والجفاء عند بعض ممن ينتسب إلى الإسلام، والإسلام منه برئ وهما: (غلو وجفاء الشيعة، وجفاء الخوارج).[١٥]

١٥ الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف (ص: ٢١، بترقيم الشاملة آليا).

٥-غلو وجفاء الشيعة.

يجمع الشيعة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، بين سيئتي الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء؛ فلهم في بعض الصحابة غلو وإفراط، أشنعه القول بالألوهية والنبوة، وأدناه تفضيل وتقديم من غلو فيه على من هو أفضل وأولى بالتقديم منه، كما لهم في البعض الآخر من الصحابة تقصير وتفريط وجفاء، أعظمه القول بتكفيرهم ولعنهم، وأدناه القول بتأخيرهم عن مرتبتهم والقعود بهم عن مكانتهم، ولهم بين هذا وذاك فيهم أقوال وآراء، تتردد بين الغلو والإزراء، ليس لهم على شيء منها دليل، إلا اتباع الظنون والأهواء.

وفي هذا المبحث سأبين أبرز مظاهر الغلو والجفاء لديهم بإذن الله تعالى:

فأما جفاؤهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر معروف لدى العامة والخاصة؛ فلم تنل فرقة ولا طائفة من مقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال هؤلاء القوم فقد جفوهم وعادوهم واتخذوهم غرضًا، يرمونهم بكل نقيصة، ويكيلون لهم من ألوان السباب والشتائم ما لا يصح أن يوجه مثله لعامة الناس فضلًا عن سادتهم وقادتهم وحواريي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهاره وأنصاره وحماة دينه، ونقلة شريعته، ومن مظاهر هذا الجفاء والتقصير:

١. قولهم بتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واستحقاقه للخلافة قبلهم، وهذا أدنى درجات الجفاء لدى القوم.

٢. سبهم وشتمهم أفاضل الصحابة رضي الله عنهم:

فمن ذلك: لعنهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتسميتهما بالجبت والطاغوت، وصنمي قريش، ووضعوا في ذلك دعاء يعرف بذلك، وفيه: (اللّٰهُمَّ العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما) يقصدون أبا بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين.[١٦]

٣. التبرؤ من الصحابة:

قال السكسكي: "وقالوا - أي: الرافضة، بتفضيل علي على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم إلا فرقة الزيدية"[١٧]

٤. تكفيرهم جل الصحابة رضوان الله عنهم:

من ذلك ما جاء في كتاب "الكافي" وهو أعظم كتبهم وأصحها لديهم وهو عندهم بمثابة "صحيح البخاري" عند أهل السنة، ذكر فيه عن "الرضا" أنه قال: "إن الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وسلم حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كاملًا؛ فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾﴿الانعام ٣٨﴾ وأنزل في حجة الوادع وهي في آخر عمره صلى الله عليه وسلم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾﴿المائدة:٣﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وسلم حتى بين لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم عليًا علمًا

---

١٦ صورة هذا الدعاء في رسالة الإمامة عند الشيعة الإثنى عشرية، لجلال الدين محمد صالح، ملحق رقم ٣/ ٥٩٦.

١٧ البرهان ص ٦٥.

وإمامًا وما ترك لهم شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا بينه؛ فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله؛ فهو كافر به"[١٨]

إن الواقف على مذهب القوم، يتبين أن أبرز سمات هذه الفرقة الغلو في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض أهل بيته، والجفاء في بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فأول مظهر من مظاهر غلو الشيعة:

١- تفضيلهم علي بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما، ثم على سائر الصحابة رضي الله عنهم، ثم أضافوا إلى ذلك القول بتقديمه في الإمامة على غيره من الخلفاء، وهذا المبدأ يمثل القاعدة العريضة لعقيدة الشيعة، وبه يتميز الشيعي من غيره؛ فمن لم يقل بتفضيل علي رضي الله عنه وتقديمه على الإمامة؛ فليس بشيعي.

٢- ومن مظاهر غلوهم قولهم بعصمة أئمتهم، وأولهم علي وابناه الحسن والحسين رضي الله عنهم:

يقول المجلسي -من أعيانهم: "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[١٩]

٣- ومن غلوهم زعمهم أن أئمتهم يعلمون الغيب:

وقد أفرد الكليني لإثبات ذلك والاستدلال له بابًا في كتابه "الكافي" فقال: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء، صلوات الله عليهم) ثم ساق تحته بعض الروايات عن أئمة آل البيت في ذلك؛ فروى عن عدة من أصحابهم أنهم سمعوا أبا

---

١٨ الأصول من الكافي ١/ ١٥٤، "ط. ١٣٨٨، نشر: المكتبة الإسلامية – طهران".

١٩ المجلسي، بحار الأنوار ج ٢٥/ ٢١١.

عبد الله عليه السلام يقول: "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون" عياذًا بالله من هذا الباطل[٢٠]

٤- قولهم بتفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة:

ذكر أبو الحسن الأشعري اختلاف الرافضة في ذلك وأن طوائف منهم ترى: أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة، وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة قال: وهذا قول طوائف منهم"[٢١]

٥- لعل أعظم مظاهر غلو الشيعة وإفراطهم:

هو قول بعضهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قول يتنصل أكثر الشيعة منه؛ لكنه يظل قول المؤسس الأول للشيعة الرافضة الإمامية عبد الله بن سبأ، الذي وضع مبادئ التشيع والرفض التي لا تزال الشيعة الرافضة إلى اليوم تقول بأكثرها، كالقول بتفضيل علي على سائر الصحابة، والنص على إمامته بعد الرسول بلا فصل، والطعن على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، كما تقدم إثبات ذلك عنهم من كتبهم. قال الشهرستاني: عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلي رضي الله عنه: أنت أنت؛ يعني: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن[٢٢]

فهذه نماذج من غلو الشيعة الرافضة، وهي بعض ما عندهم؛ فالغلو أساس مذهبهم، وما أشرت إليه من ذلك يكفي للدلالة على غلوهم.

---

٢٠ الكافي ١/ ٢٠٤.

٢١ مقالات الإسلاميين ١/ ١٢٠.

٢٢ الملل والنحل ١/ ١٧٤.

٦- غلو وجفاء الخوارج.

*تعريف الخوارج: اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، وهذا يتناول أئمة المسلمين في كل زمان ومكان. (تعريف عام)[٢٣]

أوهم من خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروه، وهم أصناف متعددة ويجمعهم القول بتكفير مرتكبي الكبائر وخلودهم في النار. (تعريف حاص).

*غلو الخوارج:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء»[٢٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن[٢٥] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[٢٦] مشمرين مسهمة وجوههم من السهر[٢٧]. وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا

---

٢٣ انظر الملل والنحل (١/١٠٥)

٢٤ رواه مسلم (١٠٦٦).

٢٥ الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.

٢٦ مرحضة: مغسولة، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٨).

٢٧ تلبيس إبليس ص ٩١.

إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن[٢٨]

فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب ولو كان صغيرًا فإنه كافر مشرك مخلد في النار، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفَّروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه، ولاشك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهًا غريبًا، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقًا ما قال به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر، كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوًا أخرجهم عن الحد الصحيح، ولذلك حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «هلك المتنطعون»[٢٩] قالها ثلاثًا، فبهذا يتبين لنا غلو الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة

---

٢٨ تلبيس إبليس، ص ٩٣.

٢٩ رواه مسلم (٢٦٧٠).

الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة[٣٠]، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الدين يسر ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا»[٣١]

*جفاء الخوارج:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حدًا فظيعًا، فقد كفروا بعض الصحابة كعلي، وعثمان، ومعاوية، وأبي موسى، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وأصحاب الجمل وصفين، ويستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين فلين وموادعة ولطف، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم.[٣٢]

---

٣٠ أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/ ٧٤٤).

٣١ رواه البخاري (٣٩).

٣٢ أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/ ٧٤٤).

٧-موقف أهل السنة من غلو الشيعة وجفاء الخوارج.

المتتبع لمنهج السلف يجد أن الله تعالى قد هداهم إلى الوسط في عقيدتهم فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: خيارًا عدولًا.

وقد ميز الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المزية العظيمة وشرفهم بها وهداهم إلى الحق فلا تجد عند المتمسكين بهدي الكتاب والسنة إفراطًا ولا تفريطًا[٣٣]، لأنهما من أشد مصادر الهلاك والضلال وبسببهما انتشرت البدع والخرافات، بل وعبادة غير الله تعالى والشرك به بتزيين الشيطان وخدعه المتنوعة كما وقع لقوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا وكما وقع لغيرهم من بعدهم من الأمم.

وتظهر وسطية أهل السنة في أصحاب المعاصي من خلال معرفة حكمهم عليهم في الدنيا والآخرة وحكم المخالفين عليهم في الدنيا والآخرة أيضًا.

فما هو حكم أصحاب المعاصي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل السنة؟

والجواب: عند أهل السنة حكم العاصي في الدنيا أنه لا يخرج عن اسم الإسلام ويقال له: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه ولا يخلد في النار مثل سائر الكفار إن دخلها، وهذا هو الذي تجتمع عليه النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

أما غير أهل السنة فكانوا بين إفراط وتفريط في الحكم على العاصي فقد حكم عليه بعضهم كالخوارج بأنه كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار أو هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا هو مؤمن ولا هو كافر ولكنه في الآخرة مخلد في النار، وهذا حكم المعتزلة. وبالتأمل

---

٣٣ الإفراط هو مجاوزة الحد في الشيء والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه.

في موقف أهل السنة من أصحاب الذنوب وموقف من سواهم ممن ذكرنا تتضح بجلاء وسطية أهل السنة وصدق قول الله تعالى فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وتظهر وسطية أهل السنة في وسطيتهم في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم، وكما توسط أهل السنة في أصحاب المعاصي توسطوا أيضًا في قضية أخرى تتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم وقبل بيان هذا الجانب أقول: إن العقل لا يكاد يتصور أن يمس جانب الصحابة بأدنى أذى احترامًا لهم وتوقيرًا واعترافًا بجميل ما قدموه للبشرية جمعاء وأيًا كان الحال فقد وقعت الخصومة فيهم بين مختلف الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام وكان لأهل السنة موقفًا مشرفًا منهم كانوا به وسطًا فيهم فكيف تم ذلك؟

وقف أهل السنة بالنسبة للصحابة بين غلو الغالين وتقصير المخالفين وقد تميز موقفهم منهم بأمور كثيرة منها:

١- أن الصحابة هم خير البشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- الاعتراف بكل ما ذكر عنهم من الفضائل في القرآن والسنة وأقوال أهل العلم.

٣- السكوت عما شجر بينهم من اختلاف وفتن داخلية ولا نذكرهم إلا بخير.

٤- الشهادة بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بها أو جاءت في القرآن.

٥- الاعتراف بأنهم كلهم على فضل ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم وأن أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعًا دون انتقاص لفضل كل منهم وأن خلافة كل واحد منهم ثابتة على النهج الصحيح وأن من أسلم قبل الفتح وبيعة الرضوان أفضل ممن أسلم بعد ذلك.

٦- الاقتداء بهم والتحلي بفضائلهم واقتفاء آثارهم.

٧- لا يرفعون أحدًا منهم فوق منزلته ولا يدعون له فضائل لم تثبت وهم في غنى عن مدحهم بما لم يثبت لهم.

٨- الإيمان بأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم طاهرات مطهرات وأنهن أمهات المؤمنين ويؤمنون بوجوب محبة أهل البيت ويقدمونهم وفق وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم دون إفراط ولا تفريط.

٩- لا يدّعون عصمة أي شخص كائنًا من كان مع الاعتقاد أن من جاء بعدهم لا يصل إلى جزيل ما أعد الله لهم من الثواب لأن مُدَّ أحدهم خير من إنفاق مثل جبل أحد ذهبًا من غيرهم.

١٠- لا يكفرون أحدًا من الصحابة ولا اعتبار للمرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

١١-يتولون الصحابة كلهم ويترضون عنهم بخلاف الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة وبهذه المزايا التي اتسم بها أهل السنة كانوا وسطًا فيما يتعلق بجانب الصحابة وستتضح وسطيتهم من خلال ما تلاحظه في مواقف المخالفين لهم فيما يأتي:

فالخوارج كفّروا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروا كل من شارك في قضية التحكيم وتبرؤوا منهم بل وأوجبوا لهم النار كما تبرؤوا من الحسن والحسين وكفروا الخليفة ذي النورين أيضًا رضي الله عنه وكذا طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعًا وهذا الموقف منهم غاية في الغلو المذموم وجرأة ممقوتة على هؤلاء الأخيار وقد تبعهم في هذا الموقف الرافضة فقد كان موقفهم من صحابة نبي الله صلى الله عليه وسلم سبة وعارًا فقد وصلوا في حمقهم وغبائهم أن شتموا الصحابة بل وتقربوا بسبهم إلى الله تعالى ولهذا كان النصارى أعقل منهم حين قيل لهم من خير أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب عيسى، وكان اليهود

أعقل منهم حين قيل لهم: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، أما الرافضة فإنهم لو قيل لهم: من شر أهل ملتكم لقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: ولهذا نجد كثيرًا من المسلمين الذين هم على الفطرة يترضون عن جميع الصحابة وما أن يدخل الشخص في مذهبهم إلا وأصبح لعن الصحابة وخصوصًا من شهد له الله تعالى بصحبة نبيه من أول التزاماته العقدية.

وفي المقابل صبوا جام غضبهم على الخلفاء الثلاثة وأم المؤمنين عائشة وحفصة وسائر الصحابة وأنهم حسب افترائهم ارتدوا عن الإسلام وخصوصًا من حضر غدير خم لعدم مبايعتهم علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولولا أن الحديث لا يتطلب تفصيل هذه الافتراءات والأباطيل لكان إثبات ذلك عنهم من مراجعهم من أيسر الأمور فليرجع إليها الباحث عن الحق النهِم بالمعرفة ليقف على كل ضلالات الرافضة وخروجهم عن الحق ليظهر له توسط أهل السنة والجماعة في موقفهم من كل صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيما تقدم إشارة كافية للبيب[٣٤].

٣٤ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/ ١٩٢).

الخاتمة

أخي في الله:

إن طريق الخلاص وعنوان السعادة وسبب النجاة من عذاب الله هو التمسك بكتاب الله تعالى ذلك الكتاب العزيز الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣]، فإنهما أعني الكتاب والسنة المصدران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشريعته، فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذيَ صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه.

يقول إمامُ دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: « لا يصلحُ آخر هذه الأمةِ إلا بما صلح به أوَّلُها »، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والسنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم، لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم واتباع سبيل المؤمنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / أبو أسيد الشيباني

عفا الله عنه.

المحتويات

المقدمة ٣
١-معنى الغلو وحقيقته. ٦
٢-معنى الجفاء وحقيقته. ٩
٣- الغلو في قوم نوح عليه السلام. ١١
٤-الغلو والجفاء في أهل الكتاب: ١١
٥-غلو وجفاء الشيعة. ١٥
فأول مظهر من مظاهر غلو الشيعة: ١٧
٦- غلو وجفاء الخوارج. ١٩
*غلو الخوارج: ١٩
*جفاء الخوارج: ٢١
٧-موقف أهل السنة من غلو الشيعة وجفاء الخوارج. ٢٢
الخاتمة ٢٦